

(بمعنى أن العالم يحوي داخله كل ما يكفي لتفسيره). وكان من المفروض أن هذا الإنسان الطبيعي / المادي يعيش تحت سقف مادي في عالم واحد لا يعرف الثنائيات، ومع هذا ظهرت إشكالية انقسام الذات والموضوع، والتمركز حول الذات الإنسانية والتمركز حول الموضوع (الطبيعي / المادي). وعبر تاريخها، حتى نهاية القرن التاسع عشر، بذلت الفلسفة الغربية جهداً غير عادي لحسم هذا التناقض ولتصفية هذه الثنائية، إما عن طريق المصالحة والمزاوجة بين الذات والموضوع وبين الإنسان والطبيعة، أو عن طريق إعطاء أسبقية للواحد على الآخر. فهذا الانقسام يعني وجود مسافة بينهما وحيث مكاني يتفاعلان فيه وحيث زمني تتم فيه عملية التفاعل، كما أنه يعني وجود حدود خارج الذات والموضوع، الأمر الذي يعني ظهور قدر من التجاوز والمعنى والكليات الثابتة. فثنائية الذات والموضوع تفتح الباب على مصراعيه مرة أخرى لكل الثنائيات الأخرى، كما أنها تشير إلى عالم خارج الذات والموضوع، هو مصدر الثبات والتجاوز والمعنى في عالم الصيرورة وحركة المادة، أي أن هناك عودة إلى عالم ما وراء الصيرورة وما وراء الطبيعة / المادة، عالم الدال المتجاوز، وهذا يشكل سقوطاً في الميتافيزيقا وتحدياً للنسق المادي وللعقلانية والواحدية المادية، ويشكل تذكراً للإنسان بأصوله الربانية، ولذا لا بد من تجاوز الثنائية ومحورها تماماً، إن كان الإنسان الطبيعي / المادي يريد تأكيد ماديته ومادية الطبيعة.

وقد كان حلم الفلسفة الألمانية - التي يقال لها مثالية 1 - هو العثور على قوانين في عقل الإنسان وفي التاريخ تتفق وقوانين الطبيعة، حتى تلتقي الذات بالموضوع والتاريخ بالطبيعة، ويلتحم الجميع في وحدة عضوية مثالية نهائية. وبطبيعة الحال، لم يتحقق هذا الحلم. ولذا بدأ الإنسان الطبيعي يبحث عن طريقة أخرى يُحقق بها تجاوز ثنائية الذات والموضوع، وهنا ظهر الجسد والجنس كصورتين مجازيتين أساسيتين يتم من خلالهما إنجاز هذا الهدف. وقد مُنح الجسد (والجنس) أسبقية معرفية وأخلاقية على كل شيء، فهما المرجعية الكامنة في المادة، ويحلان في المنظومة الحديثة المادية محل الإله في المنظومات التوحيدية الروحية.